

الافلام التسجيلية للصراعات السياسية

د. عزوز هني حمزية

جامعة سعيدة



ويرى أيضا المخرج الأمريكي فاين دايك "أن عناصر الصراع في الفيلم التسجيلي تكون في حقيقتها قوى اجتماعية أو سياسية ، وليست صراعا بين شخصيات بعينهم ، لذا فإن الفيلم التسجيلي صفة ملحمية "2.

يعتبر الفيلم التسجيلي معالجة الأحداث الواقعية الجارية ، بأسلوب فيه خلق فيني "3 ، كما تعرف مني سعيد الحديدي على أنه شكل مميز من الانتاج السينمائي ، يعتمد أساسا على الواقع في مادته وتنفيذه ، لا يهدف إلى الربح المادي بل يهتم بالدرجة الأولى بتحقيق أهداف ترتبط بالنواحي الإعلامية والتعليمية أو الثقافية ، أو حفظ التراث والتاريخ ، وعادة ما يتسم الفيلم التسجيلي بقصر زمن العرض ، إذ يتطلب درجة عالية من التركيز خلال مشاهدته ومتابعته ، وهو يخاطب في الغالب فئة أو مجموعة

تشكل السياسة مادة أساسية للأفلام التسجيلية ، ثمّة عدة أفلام تتضمن الصراعات السياسية ، منتهجة الاتجاه الواقعي الذي يستمد مادته من الواقع المباشر للمجتمع .

يطرح الفيلم التسجيلي الحالة المراد توصيلها ، ليتخذ المشاهد موقفا فكريا ومبدئيا في تلك الحالة ، لذا يجب على كتاب السيناريو أن يتحرى الصدق والمصادقية في كتابته وطرحه للصراع السياسي ، والبحث في جذور الصراع ، من أجل إثارة الرغبة في التغيير .

وقد ظهر مصطلح تسجيلي لأول مرة فيما يخص الدراما " حين استخدمه جون جريسون الذي وصف هذا الشكل بأنه معالجة إبداعية لحقائق الواقع "1.

مع هذه القضية الأم ، في طرح و إبراز واقعها ، ومعالجة جوانبها المختلفة ، كما بإمكان السينما إيصال صوت القضية الفلسطينية إلى جميع الشعوب العالم ، من أجل إعادة صياغة المواقف اتجاهها ، من خلال طرح معاناة الفلسطينيين المريرة بكل جرأة وعمق ، ورصد حجم الحقائق الكارثية بكل مصداقية ، ووضع الامور في سياقها التاريخي والموضوعي من خلال نضال الشعب الفلسطيني عبر هذه السنين .

كما تؤكد السينما على ذلك الصراع العربي الصهيوني ، وأن فلسطين كانت موجودة عبر التاريخ والاستدلال بالوثائق ، وتبين الأسس الكاذبة لدولة اسرائيل وطبيعتها التوسعية .

بالإضافة إلى إبراز معاناة اللاجئين الفلسطينيين بسبب طردهم من ديارهم ، واعتناق اللجوء إلى دول العالم ، من خلال رصد حقائق معاناتهم في مخيمات اللاجئين ، وفضح الممارسات الصهيونية من خلال تلك المجازر الدموية التي ارتكبت في حق الشعب الفلسطيني ، والهدم وتهميد الاراضي الفلسطينية .

من خلال هذا التوثيق الحي في السينما ، تظهر لنا بطريقة مؤثرة اضطهاد اليهود للعرب "فإن عمق التصوير المؤثر لمثل هذا الجو والأجواء ولأجواء هامة أخرى ، والصدق في التعبير ، قد يعطي الفيلم التسجيلي مكانة هو جدير بها "7

من أهم الأفلام العربية التي تناولت القضية الفلسطينية فيلم عمر للمخرج الفلسطيني هاني أبو أسعد ، ومحمد صالح الكيالي الذي صنع شريطا قصيرا عام 1948 ، كما تمكن من إخراج فيلم روائي طويل عام 1969 .

من المشاهدين ، وعلى أساس خصائصها يكون أسلوب المعالجة وحجم المعلومات ، وكيفية تناولها و تقديمها ، والمستوى اللغوي للتعليق ، المصاحب للفيلم أو الحوار ، القائم بين الشخصيات ، أو نوع الموسيقى ، وتتسم الافلام التسجيلية عموما بالجدية وبعمق الدراسة التي تسبق اعدادها4.

تأتي الأفلام التسجيلية تعبيراً عن هموم المجتمعات وانعكاسات لنضال سياسيا ، لأي شعب في مواجهة أعدائه ، فاختيار السينما التسجيلية ، باعتبارها "سينما الواقع والحقيقة ، سينما لا تكذب ولا تتحمل ، سينما بلا رتوش "5

كما يؤكد بازوليني بقوله "أهم شيء في السينما السياسية هي الوثيقة ، وبدون وثيقة التي يجب على الفيلم السياسي لأن يعتمد عليها ، لا يمكن الاقناع "6.

يعد الفيلم التسجيلي السياسي، ضمير الشعوب والمعبر عن روح نضاله ، المؤمن بالقضايا الانسانية من أجل استرجاع حريته وكرامته، بصورة واقعية، يستخدم فيه الوثيقة المصورة وحدها، ويستخدم الوثيقة المصورة والمكتوبة، والناطقة معا ، بحيث يوظفها مع اللقطات الحية محافظا على إيقاع كل منها ومحتواها داخل نسيج واحد من الصياغة السينمائية، التي يلعب فيها المونتاج دورا رئيسيا ، كما يلعب المصاحب دورا مهما في التحليل السياسي ، دون أن يقتصر على التفسير والشرح والربط.

ومن أهم الأفلام السينمائية التسجيلية ، هي تلك التي تناولت القضية الفلسطينية ، باعتبارها القضية المركزية للأمة الإسلامية قاطبة ، والقضية الراهنة ، ومن أجل إيصال معاناة الفلسطينيين ، كان لزاما على الكتاب والمخرجين

كان فيلم "عمر" ضمن الأفلام المعروضة في مهرجان "كان" السينمائي الدولي، سعى المخرج هاني أو أسعد إلى تصوير الواقع الفلسطيني، من خلال قصة حب، ينتصب جدار الفصل عائقاً أمامه، فضلاً عن مشاعر الشك والثقة التي تتحكم في علاقات الصداقة والحب في المجتمع الفلسطيني، صعب يكون الحب في أرض محتلة فيها شتى أنواع الإرهاب، من اعتقالات وقتل للأبرياء.

الممثل الشاب آدم بكري هو من تقمص دور عمر ذلك العاشق الذي لا يكف عن الركض والافلات من الجنود الصهاينة، يتضمن رسالة سياسية قوية.

يعتقل العاشق المناضل من أجل الحرية، وعند استجوابه يجد نفسه على موعد مع شكوك تتعلق بصديق عمره أجد الذي خانته وتزوج من حبيبته نادية وبطارق شقيق حبيبته، حينها تهاهي مشاعر عمر الممزقة مع مشهد فلسطيني، يحيط به الشقاق من كل مكان، ويعرض عليه الجانب اليهودي العمل مع مقابل حريته، فيبقى هنا عمر ممزقاً بين الحياة والرجولة والوفاء للوطن.

عمر قصة حب فلسطينية لا تخلو من الرموز السياسية، وهو خامس فيلم طويل للمخرج هاني أبو أسعد، يعالج جزءاً من حياة الفلسطينيين ما بين الحب والمقاومة والنضال والتحدي، وذلك من خلال الوجوه الشابة من الممثلين، ويسلط الضوء على التفاصيل التي عاشها معظم الفلسطينيين، من خلال ما يمرون به في حياتهم اليومية، ومن خلال تجارب الاعتقال والتوقيف والتحرير والملاحقات من قبل الاحتلال الصهيوني.

وفي عام 1969 كان فيلم لا للحل السلمي، واتبعت وحدة أفلام فلسطين في عام 1970، بانحاز فيلم بالروح بالدم لمصطفى أبو علي. وقد عبرت السينما عن القضية الفلسطينية، وعن ذلك الصراع السياسي بين العرب والصهاينة.

يمكن اعتبار السينما التسجيلية ذات الصراع السياسي، في موضوعها وتكنيكها، من خلال رصد تلك المعاناة التي تقدم مواد حقيقية موثقة، كالتوثيق الرسمية والاحصائيات، وآراء الشخصيات المعروفة، لكي تسجل القضية الفلسطينية، وقد اختيرت المواد ورتبت بطريقة تؤيد الحقوق المشروعة للفلسطينيين في وطنهم وعدالة كفاحهم ضد بني صهيون.

كما تؤكد من جهة أخرى علة زيف ادعاءات اليهود بوطن قومي في فلسطين ووجود إسرائيل غير المشروع وطبيعتها وسياساتها التوسعية.

وقد يتبادر إلى الذهن أن استخدام السينما لبعض الشخصيات التي تمارس العلاقات الغرامية كما في فيلم عمر للمخرج هاني أبو أسعد قد يضعف طبيعتها التسجيلية، ولكن هذه الشخصيات والحكايات وثيقة الصلة بالحقائق العامة والمعروفة في تاريخ القضية الفلسطينية، وهي تسهم بدورها إسهاماً في توثيق المسألة الفلسطينية التي يركز عليها الفيلم السينمائي.

فيلم عمر للمخرج هاني أبو أسعد:

تصوير الفيلم كان في الأراضي المحتلة بالناصرة

طاقم فلسطيني مخرج وممثلين شباب

الهوامش

1. مرعي، ضياء (2004) السينما التسجيلية في مصر الإسكندرية: دار الوفاء لندنيا الطباعة والنشر ص 26.
2. هاردي، فوريس (1965) السينما التسجيلية عند جويرسون. ترجمة: صلاح التهامي، مراجعة أحمد كامل مرسي، القاهرة المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأبناء ص 05
3. الحديدي، منى سعيد، وإمام علي، سلوى 2002 أسس الفيلم التسجيلي: اتجاهاته واستخداماته في السينما والتلفزيون . القاهرة : دار الفكر العربي ص 24.
4. فتح العشري - سينما نعم سينما لا ثاني مرة - المكتبة الاكاديمية القاهرة 2002 ص 51
5. م ن - ص 52
6. يوسف العاني - بين المسرح و السينما - تقديم أحمد حمدوش - دار الكتاب العربي لطباعة والنشر القاهرة - العدد 203 - 1967 - ص 105.

مقاومة المحتل تشبه سعي عمر إلى كشف الحقيقة داخل العلاقة ما بين الأصدقاء الثلاثة ، والتي انتهت بمقتل طارق على يد أجدد دون قصد ، وإلى زواج أجدد من نادية عن طريق الخيانة فأجدد لم يأبه للصدقة التي كانت تجهم منذ الصغر .

يمضي عمر اللحظات الأخيرة من الفيلم في عملية تصفية حسابات قاسية ، تجعله نبيلاً في مواقفه تجاه أجدد ونادية ، ومناضلاً بريئاً من تهمة الخيانة والعمالة على حساب ذاته.

تتواصل مشاهد الخيانة مع عواقب قائمة ودموية في حبكة فنية يقول أبو اسعد "أما تستلهم مسرحية عطيل لشكسبير مضيفاً مشكلة عطيل كانت إحساسه بعدم الأمن، عندما لا تشعر بالأمن تبدأ في التفكير في أمور لا يمكن تصديقها عندما تعاني من شعور بالاضطهاد لا يمكنك اتخاذ قرارات عقلانية.

يمكن اعتبار فيلم عمر في موضوعه فيلماً سياسياً ، يصور ذلك الصراع الأبدي بين العرب واليهود ، فهو في معظمه يقدم مواد حقيقية وموثقة كالوثائق الرسمية ، وقد اختيرت المواد ورتبت بطريقة تؤيد الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني .